ليس الحديث عن يوسف إدريس هو حديث عن أديب أو كاتب أو فنان قدر ما هو حديث عن مقاتل ثائر متمرد لا تستطيع أن تحده معايير وقوالب النقد الأدبي الحديثة، وذلك لأنه يمثل إيقاعًا خاصًا ونسقًا غير مألوف وعبق إنساني لا مثيل له عند الحديث عنه أو الكتابة حوله. وبالتالي كان ولا بد لمن يراود عقله في ذلك أن يستجمع من نفسه جوانب التفرد والذاتية حتى تكون شطحات الفن هي مفاتيح الهداية الأدبية بعيداً عن خزعبلات المنطق وضروراته، ذلك لأن يوسف إدريس كان يحاول بكل صبر وأناة أن يستخرج من نفسه هذا الكائن الذي لا يتوحد أو يتشابه معه كائناً آخر مهما يكن ولقد كان مبدأه في ذلك أن أجمل الأشياء هي التي يقترحها الجنون ويكتبها العقل !! لذلك لم يكن الفن القصصي ليوسف إدريس هو من قبيل الفن التقليدي الجامد الذي لا يحرك ساكن وإنما كان وبشكل عام هو ما يشبه القنبلة الذرية من حيث صغرها وفاعليتها كما أكد هو.

أقول إن الفن عند يوسف إدريس له طابع انقلابي تجديدي كشفي يحدث تحولاً وتغيراً في رؤية القراء بل في الرؤية العامة ولقد عبر ذات مرة عن كل هذا حيث طرح مشروعه القصصي هذا فقال : إن العمل الفني لا يستحق اسمه ما لم يتحرر من الأفكار الرجعية التي تعوق تقدم الوطن كما يجب ألا يكون ملطخًا بالتأثير الأجنبي والتقليد الأعمى للكلاسيكيات الغربية، إنه يجب أن يقدم تعبيراً نزيهاً عن مشاعرنا ويفضح بشجاعة عيوبنا!!